

# خواطر في الشعر العربي

للأستاذ محمود البشبيشي

المدرس بدار المعلم

للمرسلة الغراء فضل على الأدب العربي أن أتاحت لقراءتها فرصا كثيرة للاطلاع على آراء ناضجة، وبحوث طريفة في الأدب العربي ولقد أثار كتابها الفضلاء موزعات طليّة في هذه الناحية لقيت من قادة الأدب والباحثين فيه عناية كبيرة، تردد صداها على صفحات ( الرسالة ) وفي أنديّة الأدب، وإذا كان من حق الرسالة على أدباء العربية أن يشكروا لها حسن مسعاتها، فإن من واجهم أن ييوجوا بما يهتدون إليه من آراء حيال هذه الموضوعات، ليكون للأدب من كتاباتهم وبحوثهم مدد لا ينقطع.

أثار الباحث المفضل ( الدكتور محمد عوض ) مسألة الشعر الذي لا يجري على سنن واحد، وكان موقفاً تسميته ( مجمع البحور ) كما كان جد موفق في نقده وتجرّحه حتى تركه هباءً تذرّوه الرياح . ولقد كانت صيحة ( الدكتور ) موفقة، نهت رجال العربية الى خطر دام ينتظر الشعر العربي من هذه الدعوي الباطلة التي لم تعد لها أنصارا، ولم تتمد في قيامها على دليل، لقد طالما صدّعت آذاننا بمثل هذه الدعوى، فمن داع الى التحرر من القافية، الى منادى بجمود الشعر العربي، الى طارح لأوزان العروض المأثورة، الى غير هذه النزعات الطائشة الغامضة، وأخيرا فوجئنا بفكرة الحلل من وحدة البحور، وقرض الشعر على غير نظام والسير فيه على غير هدى، ولقد كنا نشفق على الشعر ذلك التراث المجيد أن تعبت به هذه المحاولات، ثم يعود الينا شيء من الطمأنينة، اعتمادا على ما فيه من مناعة تقيه هذه الألاعيب، غير أن دعاء هذه الفوضى الشعرية ما فتئوا يعاودون الكرة بعد الكرة يريدون أن يتسللوا في غفلة الرقباء الى حى الشعر فيستيدحوه، فإذا تم لهم ذلك، لجروا في طغيانهم، وقصوا على أنصع صفحات الأدب العربي، وأزهي رياضه، وانضروا وجوهه، ثم تعبت غربانهم على أطلاله، وقطعوا ما بين حاضر الأمة وماضيا، وبنوا على اطلال ذلك الماضي المجيد، ما خيلته لهم أهواؤهم من أماني وأحلام،

لست أدري ماذا ينقم القوم من الشعر العربي؟ وهو الذي ساير الدهر قرونا طوالا، وماشى الحضارات على اختلافها، واتسع للأغراض الشعرية على كثرتها، واستقبل حكمة العرب واليونان بعزة الوائق بنفسه، المعتر بقوته، فما دعاه غرض الا لتي، وما

أهاب به جديد إلا استجاب، وما سمعنا أنه قعد عن حكمة المتنبي وأبى تمام، ولا تحاذل دون مباحج الحياة وأغراضها في بغداد والأندلس، ولا قصر يوم يُطلب اليه ترجمة ( الياذة )، ولا يوم دُعى لنظم ( قبيز ) و ( كيلوباترا )، بل ما رأينا نفر من حملوه ما لم يخلق لأجله فظموا به العلم، وأطالوا به المتون، فالشعر العربي خصب بطبيعته، قابل للتجديد ومسايرة الزمن، ولكن في حدود العقل والمنطق، وفي حدود السليقة العربية، والحضارة العربية.

فماذا يريد القوم بعد ذلك؟ وأي غرض يرمون إليه؟ ماذا يريدون بمجمع البحور؟ وهو نوع لاحظ له من النغم الموسيقي، الذي هو روح الشعر، وسرّ تقدمه على النثر، هو لون من القول يريد أن يخدع الناس عن نفسه فلا يلبثون أن يعرفوا حقيقة، ويدركوا أنه لا الى الشعر ولا الى النثر.

لقد أبان لهم ( الدكتور ) الفاضل ان هذا بدع من القول لم تعهده اللغات الأخرى، ولم ينزل اليه شعراؤها الناهون، أمثال ( شكسبير ) وصاحب الشاهنامه، وعهدنا بأصحاب هذه الدعاوى، اذا أخذهم الدليل أن يتشبثوا بأهداب التجديد، ويجروا وراء الأدب الغربي، فإذا كانت حجتهم داحضة، وأسبابهم واهية، وإذا كان خول شعراء اللغات الأخرى لم يسفوا الى ( مجمع البحور ) فإذا عساهم يقولون؟ ما أظن الباعث لأكثر هؤلاء الا الطموح الى الشهرة وذبوع الصيت، يستمينون في سبيله بلغتهم، وهى مناط العظمة، وديوان المفاخر، ومظهر الكرامة والعزة القومية، هم يحسدون الشعراء على مكاتبتهم، ويحاولون ألا يقصروا في كل مظاهر العظمة، فيتعلقون بأهداب الشعر، فإذا هو نافر منهم، ويرون معاناة الشعر أمرا عسيرا على طبائعهم، شديد على نفوسهم، ويدركون أن العقبة الكؤود دون الذي يريدون، قوانين دعت اليها طبيعة الشعر كفن من فنون الموسيقى، واقواها في نظرهم وحدة الوزن والقصيدة أو ما يعبر عنه بالبحور، فلا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار حتى ينفروا الناس من هذه القوانين لعلمهم أن يحطموها، فتصير طريق الشعر في زعمهم واضحة معبدة، وعند ذلك يستوى الشاعر والمتشاعر، ويندس في زمرة الشعراء الملهمين من لا يمت الى الشعر بسبب، وقد نسوا ان الشعر كالموسيقى والصوت الحسن لا يتقاد الا لمطوبع عليه

رويدكم أيها الاخوان! فأنتم بيالغي هذه الغاية! وان تراءت لكم قرية المزار، ان شعرا يفقد أهم عناصره وهي وحدة الموسيقى لجدير أن تمجه الآذان، وتنفرد منه الطباع، وما كان هذا شأنه